الباب الثانى

السعادة فى الدنيا وفق منهج الإسلام

الفصل الأول : طريق السعادة فى الدنيا وفق منهج الإسلام

الفصل الثانى : عوامل تنمية السعادة فى الدنيا وفق منهج الإسلام

obeikandl.com

obeikandl.com

تمهيد الباب الثانى

جاء الإسلام ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الضلال والشقاء إلى الهداية والسعادة فى الدنيا والآخرة، فمن تبع هَدْى محمد عليه الصلاة والسلام فى الدنيا سعد فى الدنيا والآخرة، ومن أعرض عن هذا الهدى شقى فى الدنيا والآخرة. وقد قسم القرآن الكريم الناس فى الآخرة إلى صنفين: شقى وسعيد: الشقى فى النار والسعيد فى الجنة. قال تعالى: ﴿ **يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِه فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٠٧) وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (١٠٨)** ﴾ [هود].

وتتكون سعادة الإنسان من مشاعر الرضا والفرح والسرور، فمن عمل بهدى الله فى الدنيا ثقلت موازينه فى الآخرة ﴿ **فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ** ﴾ [القارعة: ٧]، ﴿ **فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ** ﴾ [آل عمران: ١٧٠]، ﴿ **وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً** ﴾ [الإنسان: ١١] فالرضا والفرح والسرور قمة السعادة التى يُنْعم الله بها على عباده المؤمنين فى الدنيا والآخرة.

وقد ذكر القرآن الكريم السعادة بمعان كثيرة منها الفوز، والفوز العظيم، والمفازة والفلاح وأعطى السعداء أسماء وصفات تشير إلى الفوز والفلاح منها: الذين سعدوا – الذين ربحت تجارتهم – الفائزون – المفلحون – أولياء الله – أصحاب الجنة – الصديقون – المؤمنون حقا – عباد الرحمن – المتوكلون – الصابرون – الساجدون – الراكعون – الشاكرون – الذاكرون – الأوابون – المستغفرون – المتقون – أصحاب القلوب السليمة – الراشدون – الأبرار.

أما الشقاء وهو ضد السعادة فقد جعله القرآن الكريم مآل أو عاقبة كل مَنْ أعرض عن ذكر الله. قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا** ﴾ [طه: ١٢٤] فى الدنيا والآخرة. وهذا هو الخسران المبين. كما جاء فى القرآن أسماء وصفات عديدة للأشقياء: فهم الخاسرون – أصحاب النار – الذين شقوا – فى قلوبهم مرض – الكافرون – المنافقون – الجاحدون – الظالمون – الحاقدون – المعتدون – المتطيرون – أولياء الشيطان – إخوان الشياطين – الفجار.

وسوف نتناول فى هذا الباب السعادة فى القرآن والسنة، فنعرض فى الفصل الثالث: « طريق السعادة فى الدنيا وفق منهج الإسلام » وفى الفصل الرابع: « عوامل تنمية السعادة فى الدنيا » كما حددها الإسلام.

obeikandl.com

الفصل الثالث

طريق السعادة فى الدنيا وفق منهج الإسلام

عنى الإسلام بسعادة الإنسان فى الدنيا فأمر بالفضائل، ونهى عن الرذائل، وأحلَّ الطيبات، وحرَّم الخبائث. فمن التزم بأوامر الإسلام وابتعد عن نواهيه فقد هُدِى إلى طريق السعادة، أو طريق الأخلاق الفاضلة.

وقد أيد الإسلام كل نظرية أو فلسفة جعلت سعادة الإنسان فى عمل الفضائل، وشقاوته فى عمل الرذائل، فمن يعمل الرذائل من المسلمين وغير المسلمين سوف يشقى فى الدنيا والآخرة، ومن يعمل الفضائل من المسلمين وغير المسلمين سوف يسعد فى الدنيا. أما السعادة فى الآخرة فهى خالصة للمؤمنين، لأنها - أى السعادة فى الآخرة - تقوم على الإيمان بالله أولاً ثم عمل الفضائل ثانيًا. فمن يعمل الفضائل وهو مؤمن يسعد فى الدنيا والآخرة، ومن يعملها وهو غير مؤمن يسعد فى الدنيا وما له فى الآخرة من نصيب.

وسوف نتناول فى هذا الفصل بعض المسلمات التى تقوم عليها السعادة فى الدنيا وفق منهج الإسلام، ونبين كيف يسعد من اتبع هدى الله سبحانه وتعالى، وعلاقة السعادة فى الدنيا بالقضاء والقدر، وما تتطلبه من مجاهدة للنفس فى السير على طريق الفضائل، والفرق بين سعادة المسلم وغير المسلم، وعلاقة السعادة فى الدنيا بالسعادة فى الآخرة.

مسلمات طريق السعادة

نقصد بالمسلمات مبادئ نؤمن بها، ونسلم بها، لأنها من عند الله، جاءتنا عن طريق الوحى فى القرآن الكريم والسنة الشريفة، والإيمان بها مرتبط بمفهوم السعادة فى الدنيا والآخرة، ويدفع الإنسان إلى السير فى طريق الهداية والفلاح، أى طريق الصراط المستقيم. من هذه المسلمات الآتى:

١ - غاية الإنسان فى الدنيا عبادة الله وتعمير الأرض:

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] فمن يؤمن بأن غايته فى الحياة عبادة الله وتعمير الأرض سوف يجد لحياته قيمة ومعنى لا يجدها مَنْ لا يؤمن بهذه الغاية.

٢ - الإسلام منهج لسعادة الإنسان فى الدنيا والآخرة:

قال تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ ولا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا (١٢٤)﴾ [طه] أى من يلتزم بمنهج الإسلام سوف يسعد، لأن الإسلام يدعو إلى الفضائل وينهى عن الرذائل.

٣ - السعادة فى الدنيا وسيلة للسعادة فى الآخرة:

قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠] فالدنيا دار عمل من أجل الآخرة، والسعادة فى الدنيا وسيلة وليست غاية للمؤمنين بالله.

٤ - من يعمل الفضائل من أجل السعادة فى الدنيا يحصل عليها فى الدنيا ولا يحصل عليها فى الآخرة:

قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ (١٥) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٦)﴾ [هود].

٥ - من يعمل الفضائل فى الدنيا وهو مؤمن بالله سبحانه وتعالى فسوف يحصل على السعادة فى الدنيا والآخرة:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩] أى كان سعيهم فى الدنيا موصلاً إلى السعادة فى الآخرة.

٦ - زود الله الإنسان بحاجات دنيوية تعطيه متعًا وملذات تدفعه إلى العمل فى تعمير الأرض:

قال تعالى ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾ [آل عمران: ١٤] فهذه متع أحلها الله للإنسان من أجل تقوية جسمه وحفظ نسله، وتنمية صحته النفسية وسعادته فى الدنيا.

٧ - زود الله الإنسان بحاجات دينية تعطيه متعًا وملذات تدفعه إلى عبادة الله واللجوء إليه سبحانه:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ

بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف : ١٧٢] فهذه متع أرقى من المتع المادية، هدفها ربط الإنسان بخالقه، وتنمية صحته النفسية وزيادة سعادته فى الدنيا والآخرة.

٨ - سخر الله ما فى الكون من جماد ونبات وحيوان لسعادة الإنسان فى الدنيا :

قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك : ١٥].

هذه المسلمات هى أساسُ السعادة وتنمية الصحة النفسية، فَمَن يؤمن بها، ويعمل بمقتضاها، سوف يُقبل على الفضائل وهو مؤمن فيسعد فى الدنيا والآخرة، أما مَنْ يُقبل على الفضائل بدون إيمان بهذه المبادئ أو المسلمات فسوف يسعد فى الدنيا وفق ما تدعو إليه الفضائل التى يعمل بها، ولا يسعد فى الآخرة لأنه عمل الفضائل من أجل الدنيا ولم يعملها من أجل الآخرة، فيسعد بها فى الدنيا ولا يسعد بها فى الآخرة.

والسعادة فى الآخرة من الأمور الغيبية التى نؤمن بها، ونؤمن بالمسلمات التى تقوم عليها كما جاء بها الوحى فى القرآن الكريم والسنة الشريفة. ومَنْ يُؤمن بهذه المسلمات سوف يُسَلَّم بوعد الله بإسعاد من اهتدى واتبع منهج الإسلام فى الحياة الدنيا .

وعد الله بإسعاد من اهتدى

خلق الله آدم فى أحسن تقويم وعلمه الأسماء كلها وأسجد له الملائكة، وأسكنه الجنة يأكل منها هو وحواء كما يشاءان، إلى أن وسوس لهما الشيطان وأخرجهما مما كانا فيه من أمن وأمان وسعادة وصحة نفسية وزين لهما طريق الضلال، فشعرا بالقلق والاضطراب عندما بدت سوآتهما، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة، وأدركا كذب الشيطان وخداعه، وعظم جريمة عصيان الله، فشعرا بالذنب و الضعف والعجز عن مواجهة الله، الذى أكرمهما ونعَّمهما، وعاشا فى بؤس وشقاء ووهن نفسى إلى أن تاب الله عليهما، ووضع لهما - ولذريتهما من بعدهما - طريق الهداية والفلاح فى الدنيا والآخرة. وغدا السعيد مَنْ سار على هدى الله والتزم بمنهج الإسلام فى الحياة الدنيا، والشقى مَنْ ضل عن هذا الطريق، ونأى عن هَدْى الإسلام. قال تعالى مخاطبًا آدم وحواء: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤)﴾ [طه] وقال فى آية أخرى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا

﴿ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٩) ﴾ [البقرة]. نجد فى الآيتين السابقتين وعداً من الله سبحانه بإسعاد مَنْ اهتدى بهديه، فلا يخاف ولا يحزن، ولا يضل ولا يشقى فى الحياة الدنيا، ويفوز بالجنة وينجو من النار فى الآخرة. وهذه غاية السعادة التى ما بعدها سعادة. أما من أعرض عن هذه الهداية فله الشقاوة وضنك العيش فى الحياة الدنيا، وعذاب النار فى الآخرة. وهذه قمة التعاسة والخسران المبين.

يقول ابن القيم فى تفسير هاتين الآيتين « لما أهبط الله آدم من الجنة وعرَّضه وذريته لأنواع المحن والابتلاء، أعطاهم أفضل مما منعهم، وهو عهده الذى عهد إلى آدم عليه السلام وإلى بنيه من بعده، ووَعَد من تمسك منهم بَهَدْى الله بأن يكون فى رضوان الله ودار كرامته. حيث جعل الله اتباع هداه والالتزام به فى الدنيا سبباً ومقتضيا لعدم الخوف والحزن والضلال والشقاء (ابن القيم ١٩٩٥ : ٣٦).

وفسر ابن عباس رضى الله عنهما الآيتين السابقتين بأن الله نفى عن المهتدين الضلال فى الدنيا والشقاء فى الآخرة، أما ابن القيم فيرى أن الله نفى عنهم الضلال والشقاء مطلقًا، فلا يضلون فى الدنيا ولا يشقون، ولا يضلون فى الآخرة ولا يشقون؛ واستدل على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦) ﴾ [طه]، وقوله أيضًا : ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء : ٧٢] أى من كان فى الدنيا ضالاً وشقيًا فهو فى الآخرة أكثر ضلالاً وأكثر شقاءً (ابن القيم، ١٩٩٥).

ولم يقف الإسلام عند نَفْى مشاعر الخوف والحزن والضلال والشقاء عن متبع هدى الله لأن نَفْى هذه المشاعر يعنى عدم وجود الشقاء فى الدنيا ولا يثبت وجود السعادة بالضرورة. فأشار القرآن الكريم فى آيات عديدة إلى أن مَنْ يؤمن بالله ويعمل الصالحات (أى الفضائل) فسوف يشعر بالأمن والطمأنينة ويحيا حياة طيبة فى الدنيا، وينعم بالجنة فى الآخرة ويكون من السعداء. قال تعالى : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد : ٢٨] وقال أيضًا : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : ٩٧]. وقال سبحانه : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام : ٨٢].

السعادة فى الدنيا

واهتم الإسلام بسعادة الإنسان فى الدنيا، فوجه المسلمين إلى الاستمتاع بالطيبات، وتحصيل ملذاتها الجسمية والجنسية والنفسية والاجتماعية فى غير معصية وعدم إسراف. وأمرهم بأن يوظفوا شهواتهم فى حفظ أبدانهم وتنميتها، ووقايتها من الأمراض، وفى استمرار أنسالهم، حتى يعمروا الأرض وتتحقق الغاية من خلقهم، وهى عبادة الله وتعمير الأرض.

والله الذى خلق الإنسان أودع فيه حاجات مادية تدفعه إلى الاستمتاع بالحياة، والمحافظة عليها والاستمرار فيها. قال تعالى: ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ** ﴾ [آل عمران: ١٤].

وتضمن هدى الإسلام أساليب صحية لإشباع هذه الشهوات وتحصيل ملذاتها ومتعها باعتدال، حتى يسعد الإنسان بها ويحمى نفسه من شرها، فحدد له الطيبات التى فيها سعادته وصحته، والخبائث التى فيها شقاوته. ودعا المسلمين إلى الاستمتاع بالطيبات والابتعاد عن الخبائث. قال تعالى: ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** ﴾ [الأعراف: ٣١] وقال سبحانه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ** ﴾ [البقرة: ١٧٢].

ولم يقف الإسلام عند دعوة المسلمين إلى تحصيل الشهوات وإشباعها بالطيبات التى أحلها الله، بل جعل هذا الإشباع عبادة لله يثاب فاعلها. قال رسول الله ﷺ: «**وفى بضع أحدكم صدقة**» قالوا: أيأت أحدنا شهوته وله فى ذلك أجر؟ قال: «**انظروا لو وضعها فى حرام أكان عليه وزر**» قالوا: نعم. قال: «**كذلك لو وضعها فى حلال له فى ذلك أجر**»[١] وهذا الأجر أو الثواب من الله جعل للشهوات الجنسية عند المسلمين لذة معنوية روحية بالإضافة إلى لذتها الحسية الجنسية فيرداد استمتاع المسلم بها.

كما نهى الإسلام عن تحريم هذه الشهوات أو الزهد فيها لأنها من المكونات الأساسية لسعادة الإنسان فى الدنيا. قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** ﴾ [المائدة: ٨٧]. وقال تعالى: ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي**

---

(١) رواه مسلم.

أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢].

ورفض الرسول التبتل والاختصاء وصيام الدهر والعزوف عن الزواج والزهد فى ملذات الحياة. وعاب على الثلاثة الذين تقالُّوا عبادته عليه السلام، وعقدوا العزم على التفرغ للعبادة، وتَرْك شهوات الدنيا، وقال: «**والله إنى أخشاكم من الله ولكنى أصوم وأفطر وأقوم وأرقد وأتزوج النساء. فمن رغب عن سنتى فليس منا**»(٢) وقال عليه السلام: «**إنى أتزوج النساء وآكل ا للحم وأنام وأقوم وأصوم وأفطر فمن رغب عن سنتى فليس منى**»،(٣).

علاقة السعادة فى الدنيا بالسعادة فى الآخرة

شجع الإسلام على طلب السعادة فى الدنيا من خلال اتباع منهج الله حتى يكون المسلم سعيداً أو أكثر سعادة فى الآخرة، لأن المسلم – كما يقول ابن القيم – يموت على ما عاش عليه، ويبعث على ما مات عليه» (ابن القيم، ١٩٩٥: ٣٦٠).

فالسعيد فى الدنيا سعيد فى الآخرة باتباعه منهج الله فى الدنيا، والشقى فى الدنيا شقى فى الآخرة بإعراضه عن منهج الله وجريه وراء شهواته وعبادته لأهوائه. فالسعادة فى الدنيا غير مطلوبة لذاتها عند المسلمين، لكنها وسيلة للسعادة فى الآخرة، التى هى غاية كل مسلم، ومطلب كل عاقل. قال تعالى: ﴿**يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٠٧) وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (١٠٨)**﴾ [هود] وتشير هذه الآيات إلى أن الشقاء فى الآخرة أكثر بؤسًا وألمًا من الشقاء فى الدنيا، والسعادة فى الآخرة أكثر متعة وفرحًا وسروراً من السعادة فى الدنيا.

ويرجع تفضيل السعادة فى الآخرة على السعادة فى الدنيا إلى أن السعادة فى الدنيا سعادة ناقصة لا تخلو من المنغصات والآلام. كما أنها سعادة قصيرة محدودة بعمر الإنسان القصير مهما عاش فى الدنيا، ومحدودة بقدرات الإنسان على تحصيل المتع والملذات والسرور، وهى قدرات محدودة مهما كانت متفوقة. أما السعادة فى الآخرة فهى طويلة مرتبطة بحياة الإنسان فى الآخرة وهى حياة أبدية، ومرتبطة بقدرات الله على إسعاد عباده

---

(٢) رواه البخارى.

(٣) رواه مسلم.

وهى قدرات غير محدودة. كما أن السعادة فى الآخرة سعادة خالصة نقية لا يشوبها أى شيء من الآلام والتوترات قال تعالى: ﴿ **لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ** ﴾ [الحشر: ٢٠]. وقال سبحانه: ﴿ **وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (٣٣) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤)** ﴾ [ق].

ومع أن ملذات الدنيا قصيرة وناقصة إلا أنها موصلة إلى السعادة فى الآخرة، فالدنيا دار عمل والآخرة دار حساب على هذا العمل. فلا سعادة للإنسان فى الآخرة بدون العمل فى الدنيا بمنهج الله. قال يحيى بن معاذ: « كيف لا أحب دنيا قدر لى فيها قوت، وأكسب فيها حياة، وأدرك فيها طاعة أدخل بها الجنة » وقال الإمام النووى: « مَنْ تناول شهوات الدنيا المباحة للتقوّى على طاعة الله كانت شهواته له طاعة يثاب عليها » وسئل صفوان الرعيبى عن الدنيا المذمومة والدنيا المحمودة فقال: « كل ما أصبت فى الدنيا تريد به الدنيا فهو مذموم، وكل ما أصبت منها تريد الآخرة فليس من الدنيا المذمومة » (كرزون، ١٩٩٧ : ١٢٨ و١٣٨) من هنا كانت الصلة وثيقة بين سعادة الإنسان فى الدنيا وسعادته فى الآخرة إذا آمن وعمل الصالحات والتزم بشريعة الإسلام التى فيها سعادته فى الدنيا والآخرة.

الفرق بين سعادة المسلم وغير المسلم

السعادة فى الدنيا مطلب إنسانى للمسلمين وغير المسلمين، وهى تقوم على الاستمتاع بملذات الحياة فى إشباع الحاجات، والتوفيق والنجاح فى تحقيق الأهداف والطموحات. وتنقسم ملذات الحياة إلى: مادية، ومعنوية، وروحية. والملذات المادية ترتبط بإشباع **الحاجات العضوية** وتشمل: حاجات الطعام، والماء، والجنس، والملبس، والمال، والنوم، والنشاط، وغيرها. أما **الملذات المعنوية** فترتبط بإشباع **الحاجات النفسية والاجتماعية** وتشمل: حاجات الأمن، والإنجاز، والاعتماد على النفس، وحب الاستطلاع، والتعلم، والحب، والانتماء، والاستحسان والتقدير، وتحقيق الذات، وغيرها. أما **الملذات الروحية** فترتبط بإشباع الحاجات إلى الله وتشمل: حاجات التوكل، والاستعانة، والحمد، والشكر، والخوف، والرجاء، والقرب من الله، وغيرها.

ومن المعروف أن الملذات الروحية أرقى من الملذات المعنوية، والملذات المعنوية أرقى من الملذات المادية (عودة ومرسى، ٢٠٠٠) ويمكن الارتقاء بالملذات المادية وجعلها ملذات مادية وروحية معًا. كما يمكن الارتقاء بالملذات المعنوية وجعلها ملذات معنوية وروحية معًا، إذا قصدنا بتحصيلها عبادة الله وتعمير الأرض، أى اتبعنا فى الحصول عليها منهج

الإسلام فى الحياة الدنيا، الذى جعل كل أعمال المسلمين عبادة لله سبحانه وتعالى، فأضاف إلى ملذات الحياة الدنيا ملذات روحية ترتقى بملذاتها المادية والمعنوية وتزيد من سعادة الإنسان بها فى الدنيا، وتوصله إلى السعادة فى الآخرة. فالمسلم يأكل كما يأكل غير المسلم، ويحصل مثله على لذة الشبع، لكنه يحصل من الأكل على لذة روحية، لأنه – أى المسلم – يبدأ الأكل باسم الله ويحمد الله فى آخره، ويستخدم الأكل وسيلة لحفظ بدنه، والتقوى على طاعة الله، فيكون تناوله للطعام عبادة، ويستمتع به ماديًا وروحيًا، وتصبح متعه فى تناول الطعام أطول أمدًا من متع غير المسلم.

وينطبق هذا التحليل على جميع ملذات الحياة الدنيا المادية والمعنوية التى يشترك فى تحصيلها المسلمون وغير المسلمين، ويكون استمتاع المسلمين بها أفضل من استمتاع غير المسلمين لأن المسلمين يَسْعون إليها بهدف تحقيق الغاية التى خلقوا من أجلها، وهى عبادة الله وتعمير الأرض، فيحصلون على السعادة فى الدنيا والآخرة، أما غير المسلمين فيسعون إليها من أجل الدنيا، فتظل متعهم مادية ومعنوية قصيرة تنتهى بانتهاء أعمارهم فى هذه الحياة، وهى أعمار محدودة. يقول سبحانه وتعالى: ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ**﴾ [الشورى: ٢٠] ويقول أيضًا: ﴿**فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ (٢٠٠) وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١) أُوْلَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا(٢٠٢)**﴾ [البقرة].

وتشير هاتان الآيتان إلى أن السعادة فى الدنيا لها أسباب وهى: العمل الصالح، والالتزام بالفضائل، والابتعاد عن الرذائل. فمن يعمل بها من أجل الدنيا فسوف يسعد فى الدنيا، ومن يعمل بها وهو مؤمن بالله فسوف يسعد فى الدنيا والآخرة.

وقد حث الإسلام المسلمين على الأخذ بأسباب السعادة فى الدنيا والآخرة باتباع منهج الله فى الحياة الدنيا. يقول تعالى فى معرض توجيهات لقمان الحكيم لابنه: ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾ [القصص: ٧٧]. فالسعادة فى الدنيا محمودة للمسلمين وغير المسلمين إلا أن غير المسلمين يجعلونها غايتهم فى الحياة، أما المسلمون فيجعلونها وسيلة إلى السعادة فى الآخرة. وفى هذا فرق كبير بين سعادة المسلم وسعادة غير المسلم فى الحياة الدنيا. فالأولى تقود إلى سعادة أرقى وأبقى فى الآخرة، والثانية تقف عند ملذات ناقصة

وزائلة بزوال الإنسان عنها أو بزوالها عن الإنسان. لذا عاب القرآن على أولئك الذين يحبون الحياة الدنيا ويتركون يوم الحساب وهو يوم ثقيل على الكافرين غير يسير، حيث مصيرهم إلى النار والعذاب والشقاء الدائم. قال تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٧]. وعاب الإسلام أيضًا على الذين يحبون السعادة فى الدنيا ويهملون آخرتهم، فيعملون من أجل الدنيا ولا يعملون من أجل الآخرة قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ (٢١)﴾ [القيامة].

علاقة السعادة بالقضاء والقدر:

يؤمن المسلمون بأن سعادتهم وشقاوتهم بقضاء الله وقدره، وهى محددة فى اللوح المحفوظ من قبل ولادتهم. فالسعادة والرزق والأجل محددات من بداية خلق الإنسان. قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: «**إن خلق أحدكم يُجْمع فى بطن أمه أربعين يومًا نُطْفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث إليه الملك، فيؤمر بأربع كلمات: فيقال اكتب رزقه وعمله وأجله وشقى أم سعيد ثم ينفخ فيه الروح**»(٤).

ويقول عليه السلام أيضًا: «**إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض، وكان عرشه على الماء**»(٥) ومن هذه المقادير التى قدرها الله للإنسان هى شقى أم سعيد. ومع هذا الإيمان بقضاء الله وقدره فى سعادة الإنسان وشقاوته فإن المسلم يؤمن أن سعادته وشقاوته من كسبه فى الحياة. فالسعادة والشقاوة من الأمور التى تدخل تحت إرادة الإنسان. فالسعيد مَنْ أخذ بأسباب السعادة وسعى لها سعيها وهو مؤمن، والشقى مَنْ أخذ بأسباب الشقاوة وعمل ما يغضب الله، وهو جاهل بمنهجه أو غافل عنه فهو من الضالين، أو عمل ما يغضب الله وهو يعلم بمنهج الله، لكنه لا يعمل بما يعلم، أو يعمل نقيض ما يعلم، فهو من المغضوب عليهم (ابن القيم، ١٩٩٥).

ويشرح ابن تيمية العلاقة بين السعادة والشقاوة المقدرتين بقضاء الله وقدره على الإنسان وبين كسبهما وتحصيلهما بإرادة الإنسان وجهده وعمله فى الحياة، فيقول «المكتوب فى القدَم هو سعادة السعيد بما يسر له من العمل الصالح، وشقاوة الشقى بما يسر له من العمل السيء. فالسعيد سعيد بعمله الصالح، والشقى شقى بعمله الطالح (ابن تيمية، ١٩٩٠: ٢٢٣).

---

(٤) متفق عليه.

(٥) رواه أبو داود.

السعادة وتحمل المشقات

والسعادة التى يريدها الإسلام للمسلمين ثمرة جهد واجتهاد فى الدنيا فى عمل ما يرضى الله، والابتعاد عما يغضبه، حتى ولو حَرَم المسلم نفسه من متعة أو لذة آنية قصيرة الأمد؛ لأنه - أى المسلم - بعيد النظر يطلب متعاً كبيرة وسعادة طويلة فى الآخرة، وهى سعادة تتطلب التضحية بملذات الدنيا غير الصحية، والأخذ من ملذاتها الصحية بمنهج الله، وتحمل الإحباط والصبر على المصائب ابتغاء مرضاة الله، حتى يحصل على الثواب من الله فى الدنيا أو الآخرة أو فيهما معًا.

ويؤمن المسلم أنه كلما اجتهد وتحمل المشقة فى نهى النفس عن الهوى وفى تحمل ابتلاءات ربه كان الثواب من الله أكبر، لأن عِظَم الجزاء مع عِظَم البلاءَ، كما قال رسول الله عليه الصلاة والسلام(٦).

وكلما زاد إيمان المسلم بالثواب من الله زادت لذته ومتعه وسروره بما يبذله من جهد وتعب فى سبيل مرضاة الله. فالسعيد فى الإسلام ليس إنسانًا منعمًا مرفهًا يجرى وراء ملذاته وشهواته، وليس إنسانًا يعيش فى استرخاء وفرح وسرور دائم بل هو إنسان مؤمن بربه، ومتوكل عليه، وملتزم بهديه وشاكر فى السراء، صابر فى الضراء. فيكون سعيداً فى الدنيا لأن أمره كله خير فيها. قال عليه الصلاة والسلام: «**عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس لأحد غير المؤمن. إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له**»(٧).

وتلذذ المسلم واستمتاعه بعمل ما يرضى الله يجعله يضحى بكثير من الملذات المادية الدنيوية أو يؤجلها أو يُعَدِّلها ويرتقى بها. فيترك طعامه وشرابه ومتعه الجنسية فى نهار رمضان امتثالاً لأمر الله ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ**﴾ [البقرة: ١٨٣] ولا يبالى بمشاعر الجوع والعطش والتعب التى يشعر بها، لأنه يجد فيها الاستمتاع الروحى الذى يفوق الاستمتاع المادى الذى تركه فى الصيام، فقد وعده الله بالثواب العظيم فى الدنيا والآخرة على هذا الصوم. قال رسول الله ﷺ عن رب العزة فى ثواب الصائمين: «**كل عمل ابن آدم يضاعف: الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به، يدع شهوته وطعامه من أجلى. للصائم فرحتان: فرحة عند**

---

(٦) من حديث رواه الترمذى.

(٧) رواه مسلم.

فطره، وفرحة عند لقاء ربه. ولخلوف فيه أطيب عند الله من ريح المسك»[٨] وقال عليه السلام: «ما من عبد يصوم يومًا فى سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفًا»[٩] فالثواب من الله يجعل لذة الصيام أقوى من لذة الطعام، ويدفع إلى تحمل متاعب الجوع والعطش فى أيام الحر الشديد.

كما يُؤْثر المسلم الآخرين ويضحى بملذاته وشهواته فى حب المال والطعام ليكون من الأبرار الذين: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ [الإنسان] كما أنه يُخْرج الزكاة ويتصدق على الفقراء والمساكين والضعفاء، ويسيطر على شهواته فى حب المال فيجمعه من حلال وينفقه فى حلال دون إفراط ولا تفريط، ليكون من عباد الرحمن الذين ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧] ويكون من المكرمين ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾ [المعارج]. ويجد المسلم فى إطعام الطعام وإعطاء المال لذة روحية تفوق لذته المادية من تناول الطعام ومن جمع المال، لأنه يؤمن أن ثواب الله كبير على هذه الأعمال التى يضحى فيها بملذات مادية عاجلة فى سبيل الحصول على ملذات روحية فى الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

وسعادة المسلم فى الدنيا محفوفة بالمكاره العاجلة التى هى عبارة عن فتن وابتلاءات تتطلب منه الصبر والاجتهاد فى تحملها. قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥] أى الذين يتحملون هذه الابتلاءات. وقال: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢]. فالابتلاءات والفتن اختبار لقوة إيمان المؤمن، فمَنْ جزع وحزن وسخط شقى بتفكيره ومشاعره، ومن صبر واحتسب ورضى سعد بتفكيره ومشاعره، وفرح بنجاحه فى هذا الابتلاء أو الاختبار، واستبشر بالثواب من الله. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]. وقال رسول الله ﷺ: «حُفت النار بالشهوات وحُفت الجنة بالمكاره»[١٠].

---

(٨) رواه مسلم.

(٩) متفق عليه.

(١٠) رواه مسلم.

ويشير هذا الحديث الشريف إلى أن سعادة المسلم فى الدنيا وفوزه بالجنة فى الآخرة، ثمرة مجاهدة النفس فى عمل ما يرضى الله، ونهيها عن الهوى الذى يغضب الله، أما شقاوة المسلم فى الدنيا وعذابه بالنار فى الآخرة، فهى بالجرى وراء الشهوات والملذات الرخيصة السريعة، وعمل ما يغضب الله. قال تعالى: ﴿ **فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴿٤١﴾** ﴾ [النازعات].

فسعادة المسلم ليست مشاعر فرح وسرور وملذات ومتع، لكنها اتباع لأوامر الله وابتعاد عن نواهيه وتحمل ما فى ذلك من جهد وتعب ونصب، ولا يشعر بهذه السعادة إلا المسلم الحق، لأنها سعادة قائمة على الإيمان بأن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى (التى فيها سعادة الإنسان وسعادة من حوله) وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى (التى فيها شقاوة الإنسان وشقاوة من حوله). ويعبر ابن القيم عن هذه الحقيقة الإيمانية بقوله: « السعادة فى اتباع أوامر الله والابتعاد عن نواهيه.. ولا صلاح ولا نعيم ولا لذة ولا متعة ولا سعادة بدون عبادة الله والتوكل عليه » (ابن القيم، ١٩٩٦ (أ): ٢٤).

وصدق الشاعر الحطيئة حين قال:

ليست السعادة فى جمع مال ... ولكن التقى هو السعيد

وقال الفضل بن عياض:

إن الشقى الذى فى النار منزله ... والفوز فوز الذى ينجو من النار

التلخيص

تقوم سعادة الإنسان فى الدنيا على عدة مسلمات من أهمها أن غاية الإنسان فى الدنيا عبادة الله وتعمير الأرض، وأن الإسلام منهج لسعادة الإنسان فى الدنيا، والسعادة فى الدنيا وسيلة للسعادة فى الآخرة، ومن يعمل الفضائل من أجل الدنيا يسعد فى الدنيا ولا يسعد فى الآخرة، ومن يعمل الفضائل من أجل الآخرة يسعد فى الدنيا والآخرة، وأن الله زود الإنسان بحاجات دنيوية ودينية وسخر له ما فى الأرض من جماد ونبات وحيوان من أجل سعادته فى الحياة الدنيا.

وقد وعد الله آدم عليه السلام وذريته من بعده بالسعادة فى الدنيا والآخرة إن اتبعوا منهج

الإسلام فى الحياة، ووعدهم بالشقاء والتعاسة إن هم أعرضوا عن هذا المنهج، وحثهم على الاستمتاع بالحياة الدنيا من خلال الالتزام بأوامره والابتعاد عن نواهيه. فقد أحل لهم الطيبات التى تنمى صحتهم الجسمية والنفسية، وحرم عليهم الخبائث التى تفسد حياتهم وتضعف أجسامهم وتوهن نفوسهم.

ومع أن السعادة والشقاء مرتبطتان بقضاء الله وقدره فإنهما من كسب الإنسان وسعيه فى الحياة الدنيا وإرادته وتفكيره ومشاعره. فكل إنسان مسلم أو غير مسلم يمكن أن يكون سعيداً إذا أخذ بأسباب السعادة وهى عمل الفضائل والابتعاد عن الرذائل، ولكن المسلم سوف يكون أكثر سعادة من غير المسلم لأنه يعمل الفضائل من أجل الآخرة فيسعد فى الدنيا والآخرة، ويحصل على ملذات الدنيا بمنهج الله فيجدها أكثر لذة ومتعة، لأنه لا يستمتع بها من أجل الاستمتاع بل من أجل التقوِّى على عبادة الله وتعمير الأرض، فتصبح ملذاته المادية والمعنوية ملذات روحية، فيسعد بها فى الدنيا أكثر من غير المسلم.

والسعادة التى يريدها الإسلام للمسلمين ليست فى الجرى وراء الشهوات والملذات، وإنما هى فى ضبط النفس ومجاهدتها فى تحمل المشقات والصعوبات ابتغاء مرضاة الله. فالسعادة فى الآخرة محفوفة بالمكاره والشكر فى السراء والصبر فى الضراء.

التطبيقات

يهدف هذا الفصل إلى تعريف القارئ برأى الإسلام فى سعادة الإنسان فى الدنيا والاستفادة من هذه المعرفة في تنمية صحته النفسية وزيادة شعوره بالسعادة فى الدنيا حتى يصل إلى السعادة فى الآخرة. وتتلخص الدروس المستفادة من هذا الفصل فى الآتى:

١ – أن يؤمن الإنسان بالغاية التى خلق من أجلها وهى عبادة الله وتعمير الأرض حتى يدرك قيمة نفسه ومعنى وجوده فى هذه الحياة، فيسعد فى الدنيا والآخرة.

٢ – أن يلتزم بمنهج الإسلام فى إشباع حاجاته الجسمية والنفسية والاجتماعية، وأن يوظفها فى عبادة الله وتعمير الأرض، حتى يزداد متعة بها ويُقَوِّى نفسه ويَحْميها من الانحراف والضلال.

٣ – لا يحرم الإنسان نفسه من الطيبات التى أحلها الله من طعام وملبس ومسكن وزواج ونوم وراحة وعمل وكسب الرزق فى حدود شرع الله دون إسراف ولا تقتير، فالإسلام

دين الوسطية والاعتدال فى كل شىء.

٤ – يبتعد الإنسان عما حرم الله لأن فيها ضرره فى الدين والدنيا، فالمحرمات خبائث تضعف الأبدان وتوهن النفوس وتدفع إلى الانحراف والفساد.

٥ – لا يجعل الإنسان همه السعادة فى الدنيا فهى سعادة ناقصة زائلة إما بزواله عنها أو بزوالها عنه، وعليه أن يعمل من أجل السعادة فى الآخرة حتى يسعد فى الدنيا والآخرة.

○○○

obeikandl.com

الفصل الرابع
عوامل تنمية السعادة فى الدنيا وفق منهج الإسلام

تقوم نظرة الإسلام إلى سعادة الإنسان فى الدنيا على أساس أنها من الأعمال الكسبية التى يكتسبها الإنسان بإرادته وهى – أى السعادة – تزيد بعمل الصالحات – أى الفضائل – وتنتقص بالتقاعس عن الفضائل أو بعمل الراذئل. فمن أراد أن يُنمى سعادته فى الدنيا فعليه الالتزام بهدى الله فى العبادات والمعاملات والانضباط بضوابط الشرع فى عمل الفضائل، حتى تتحقق له السعادة فى الدنيا والآخرة.

وقد أشار القرآن الكريم والسنة الشريفة إلى عوامل عديدة تسهم بشكل مباشر أو غير مباشر فى زيادة سعادة الإنسان فى الدنيا. وسوف نختار ثمانية منها عدها الرسول عليه الصلاة والسلام من عوامل سعادة الإنسان فى الدنيا. وهى: الاستقامة، والاستخارة، والمعافاة فى البدن، والزوجة الصالحة، والمسكن الصالح، والمركب الصالح، والرزق الواسع، والأمن والأمان. وسوف نناقش هذه العوامل ونبين كيف يسهم كل منها فى زيادة سعادة الإنسان فى الدنيا.

١ – الاستقامة

يقصد بالاستقامة لزوم طاعة الله فنعمل بما أمر به ونبتعد عما نهى عنه، أى نلتزم بعمل الفضائل والابتعاد عن الرذائل، ففيهما سعادة الإنسان فى الدنيا. قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٣) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤)**﴾ [الأحقاف].

وتشير هاتان الآيتان إلى أن السعادة تتطلب الإيمان بالله ثم الاستقامة التى تحمى الإنسان من الحزن والخوف، وتجعله فرحًا فى الدنيا برضا الله عنه وباحترام الناس له وبما ينتظره من ثواب فى الآخرة، لذا حث الرسول عليه الصلاة والسلام على الإيمان ثم الاستقامة فقال عليه السلام لعمرة سفيان بن عبد الله رضى الله عنه: «**قل آمنت بالله ثم استقم**»(١).

---

(١) رواه مسلم.

وتتطلب الاستقامة مجاهدة النفس فى طاعة الله ومواصلة عمل الفضائل والابتعاد عن الرذائل، فيزداد الإنسان قربًا من خالقه، وارتباطًا به، وتوكلاً عليه، فيشعر بالسعادة فى مواقف كثيرة. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩] وقال رسول الله ﷺ: **«إن الله تعالى قال: من عادى لى وليًا فقد آذنته بالحرب. وما تقرب إلىَّ عبدى بشىء أحب إلىَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ولسانه الذى ينطق به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، وإذا سألنى أعطيته ولئن استعاذنى لأعيذنه»**(٢).

ويشير هذا الحديث الشريف إلى أن استقامة العبد ومواظبته على طاعة الله بالفرائض والنوافل تجعله فى محبة الله ورضوانه، وتجعل حواسه كلها خاضعة لأوامر الله، فيعيش فى أمن وطمأنينة ورضا مع الله ومع النفس ومع الناس، وهذه قمة السعادة فى الدنيا الموصلة إلى السعادة فى الآخرة.

ودعوة الإسلام إلى الاستقامة من أجل السعادة تؤيد دعوة الفلاسفة والعلماء المسلمين وغير المسلمين إلى الاستقامة من أجل السعادة فى الدنيا، فكل من الإسلام والفلاسفة والعلماء يتفقون على أن سعادة الإنسان فى عمل الفضائل والابتعاد عن الرذائل، لكن الفرق بين الاستقامتين يظهر فى أن الاستقامة التى يريدها الإسلام تقوم على الإيمان بالله الذى يجعلها تحقق السعادة للإنسان فى الدنيا وتوصله إلى السعادة فى الآخرة، أما الاستقامة التى يريدها الفلاسفة والعلماء غير المسلمين فتقوم على العمل من أجل الدنيا فيسعد الإنسان فيها سعادة ناقصة لا توصله إلى السعادة فى الآخرة، لذا فمن شاء فليؤمن بالله ثم يستقم فيسعد فى الدنيا والآخرة، ومن شاء فليستقم من أجل الدنيا فيسعد فى الدنيا وما له فى الآخرة من نصيب.

٢ - الاستخارة

يقصد بالاستخارة صلاة الاستخارة وهى ركعتان من غير الفريضة، يصليهما المسلم بنية استخارة الله فى أمر لا يدرى فيه خير أم شر له، ولا يستطيع أن يقرر: يُقدم عليه أو يُحجم عنه (صراع إقدام - إحجام)، أو استخارة الله فى أمرين عليه أن يختار أحدهما ولا يدرى أيهما أكثر خيرية له فيُقدم عليه (صراع إقدام - إقدام) أو أيهما أكثر ضرراً به حتى يُحجم

---

(٢) رواه البخارى.

عنه (صراع إحجام – إحجام) . وهذه الصراعات[1] مرتبطة بأفعال الإنسان الاختيارية، وهي فى الحياة اليومية كثيرة. ومن سعادة الإنسان فى الدنيا اللجوء إلى الله وطلب العون منه في اتخاذ القرار والمساعدة فى حل هذا الصراع. قال رسول الله ﷺ : **«من سعادة ابن آدم استخارة الله، ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله، ومن شقوة ابن آدم ترك استخارة الله، ومن شقوة ابن آدم سخطه بما قضى الله»**[2].

فالعبد السعيد هو الذى يجمع بين الاستخارة والرضا. وتأتى سعادة العبد فى الاستخارة من أنه يلجأ إلى الله القادر على كل شيء والعالم بكل شيء، ويُفوض أمره إليه وهو موقن بأن الله لا يريد لعباده إلا الخير « فالخير للإنسان فيما اختاره الله له » مما يجعله يرضى بما قضى الله له فى هذا الأمر، وينشرح صدره، ويتخلص من صراعه، ويستعيد أمنه وطمأنينته. أما الشقاوة فى ترك الاستخارة فتأتى من عجز العبد عن حل الصراع وعن عدم قدرته على اتخاذ القرار المناسب فى الوقت المناسب، فيظل فى صراع نفسى مؤلم، ويلجأ إلى الحيل النفسية الدفاعية، ويكون عرضة للاضطراب النفسى أو الاضطراب العقلى بسبب شعوره بالعجز عن حل الصراع، وسخطه على ما هو فيه، فيظل فى قلق وتوتر وضيق وتعاسة.

وقد سن الرسول عليه الصلاة والسلام صلاة الاستخارة وعدّها من سعادة الإنسان، ففيها توفيق من الله فى حل الصراع. قال عليه الصلاة والسلام: **«إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: اللهم إنى أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك**

---

(٣) الصراع Conflict: هى مشاعر نفسية مؤلمة يشعر بها الإنسان عندما يعجز عن اتخاذ القرار فى أمر من الأمور، مما يجعله متوترًا قلقًا مضطربًا مترددًا، ويدفعه إلى الحيل النفسية الدفاعية. وينقسم الصراع إلى أربعة أشكال هى:

أ – صراع إقدام – إقدام: عندما يكون الإنسان مشدودًا إلى أمرين يرغب فيهما ولا يستطيع الحصول عليهما معًا، وعليه أن يفاضل بينهما ويختار أفضلهما بالنسبة له.

ب – صراع إحجام – إحجام: عندما يكون الإنسان مشدودًا عن أمرين لا يرغب فيهما ولكنه لا يستطيع أن يتركهما معًا وعليه أن يختار أقلهما ضررًا به.

جـ – صراع إقدام– إحجام: عندما يكون الإنسان مشدودًا إلى أمر ومشدودا عنه فى آن واحد أى يحبه ويكرهه بنفس الدرجة لأن محاسنه وعيوبه متساوية بالنسبة له، ولا يستطيع أن يُقدم عليه أو يُحجم عنه.

د – صراع إقدام – إحجام مزدوج: عندما يكون الإنسان مشدودًا إلى أمرين ومشدودًا عنهما بنفس الدرجة لأن محاسنهما وعيوبهما متساوية بالنسبة له، ولا يستطيع أن يُقدم على أحدهما ويُحجم عن الآخر.

ولمزيد من المعلومات يُرجع إلى:

محمد عودة، وكمال إبراهيم مرسى (٢٠٠٠) **الصحة النفسية فى ضوء الإسلام وعلم النفس**. الكويت: دار القلم.

(٤) رواه أحمد.

من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علاَّم الغيوب. اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر - ويسميه باسمه - خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى فاقدره لى ويسره لى، ثم بارك لى فيه. وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى فاصرفه عنى، واصرفنى عنه، واقدر لى الخير حيث كان ثم رضنى به»(٥).

ويستفيد المؤمن كثيرا من هذه الصلاة إذا آمن أن النجاح والتوفيق فضل من الله، وأن الله لا يختار لعباده إلا الخير. فهذا الإيمان يجعله مهيأ للرضا بقضاء الله فى موقف الصراع، ويشرح صدره ويساعده فى حل صراعه، ويذهب عنه التوتر والقلق ويستعيد صحته النفسية.

٣ - المعافاة فى البدن

يقصد بالمعافاة فى البدن خلو الجسم من الأمراض والآلام مع توافر القوة وسلامة الأعضاء، وقيامهاو بوظائفها بحيوية ونشاط. وقد عد الرسول عليه الصلاة والسلام المعافاة فى البدن من عوامل سعادة الإنسان فى الدنيا(٦). فقال عليه الصلاة والسلام: «**أربع من أعطيهن فقد أعطى خير الدنيا: قلبًا شاكرًا، ولسانًا ذاكرًا، وبدنًا على البلاء صابرًا، وزوجة لا تبغيه حوبًا فى نفسها وماله**»(٧) وقال فى حديث آخر: «**من بات آمنًا فى سربه، معافى فى بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها**»(٨).

يستفاد من هذين الحديثين الشريفين أن المعافاة فى البدن إحدى الركائز الأساسية التى تقوم عليها سعادة الإنسان فى الدنيا، لأن حياته فيها تتطلب الصحة والمعافاة فى البدن. والإسلام دين قوة يدعو المسلمين إلى الأخذ بأسباب الصحة والمعافاة فى الأبدان. قال عليه الصلاة والسلام: «**المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز**»(٩) والمؤمن القوى الذى يقصده الرسول عليه الصلاة والسلام هو القوى فى بدنه ونفسه. يقول الدكتور السيد نوح «يراد بالقوة فى هذا الحديث عزيمة النفس الصادقة وهمتها العالية وإرادتها المتينة، وذلك بالطبع نابع من صحة البدن وسلامته من العلل والأمراض» (نوح، ١٩٩٨ : ٦).

ولا يكون المسلم راجحًا فى ميزان الإسلام إلا إذا تعهد جسمه بالرعاية والعناية لأن صحة

---

(٥) رواه البخارى.

(٦) لمزيد من المعلومات عن التأثير المتبادل بين النفس والجسم ارجع إلى الفصل السابع من هذا الكتاب.

(٧) رواه الطبرانى.

(٨) رواه الترمذى.

(٩) من حديث رواه مسلم.

البدن ليست صحة مادية فقط، بل قوة أثرها عميق فى تنمية صحة النفس وزيادة قوتها وتحملها لأعباء الحياة، التى تحتاج بدنًا قويًا، فسلامة الجسم مرتبطة بسلامة التفكير والإقبال على الحياة ببشاشة وتفاؤل (الغزالى، ١٩٧٤ : ١٧٠) وهذا ما يجعل المعافاة فى البدن من عوامل سعادة الإنسان.

ويفضل الرسول عليه الصلاة والسلام صحة البدن على الغنى للمؤمن، فيقول: «**لا بأس بالغنى لمن اتقى، والصحة لمن اتقى خير من الغنى، وطيب النفس من التنعيم**»(١٠) وكان عليه الصلاة والسلام « كثير الدعاء بالعافية وكان يدعو أهله وأصحابه إلى أن يسألوا الله العافية » فقال لعمه العباس: «**يا عباس يا عم رسول الله سل الله العافية فى الدنيا والآخرة**»(١١) وقال أيضًا: «**سلوا الله اليقين والمعافاة، فما أوتى أحد بعد اليقين خيراً من العافية**»(١٢).

كما كان الرسول عليه الصلاة والسلام يدعو ربه بالسلامة فى حواسه وبالقوة والصحة فقال عليه السلام: «**ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا**»(١٣) وقال أيضًا: «**اللهم عافنى فى بدنى وعافنى فى سمعى وعافنى فى بصرى لا إله إلا أنت**»(١٤) وقال كذلك: «**اللهم اجعل فى قلبى نوراً، وفى بصرى نوراً، وفى سمعى نوراً، وعن يمينى نوراً، وعن يسارى نوراً، وفوقى نوراً، وتحتى نوراً، وأمامى نوراً، وخلفى نوراً، واجعل لى نوراً**»(١٥).

عوامل تنمية المعافاة فى البدن والمحافظة عليها

والمعافاة فى البدن نعمة من عند الله يجب المحافظة عليها، والأخذ بأسباب تنميتها وتقويتها ومن أهمها الآتى:

أ - التغذية الجيدة والاعتدال فى تناول الطعام:

فقال عليه الصلاة والسلام: «**ماملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه. بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان لابد فاعلاً فثلث لطعامه، وثلث لشرابه وثلث لنفسه**»(١٦) فهذه دعوة من الرسول عليه الصلاة والسلام للتوسط فى الغذاء، وتناول منه بقدر الحاجة، والاعتدال فيه

---

(١٠) رواه ابن ماجه.

(١١) رواه أحمد.

(١٢) رواه أحمد.

(١٣) من حديث رواه الترمذى.

(١٤) رواه أبو داود.

(١٥) رواه البخارى.

(١٦) رواه أحمد.

كمًا وكيفًا، حتى ينتفع الجسم بالغذاء، ويتجنب أضرار التخمة أو سوء التغذية.

ب - نظافة البدن:

يريد الإسلام أن يكون المسلم وضيء الوجه، نقى البدن، نظيف الأعضاء، أغر الحاجبين، لأنه سوف يُبعث يوم القيامة على حالته فى الدنيا (الغزالى، ١٩٧٤ : ١٦٣) لذا أمر بنظافة البدن وطهارته خمس مرات فى اليوم عند كل صلاة، وغُسل الجنابة، وغُسل الجمعة. قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا** ﴾ [المائدة: ٦]. وقال الرسول عليه الصلاة والسلام: «**النظافة من الإيمان والإيمان مع صاحبه فى الجنة**»(١٧) وأمر عليه السلام رجلاً بإصلاح شعره فلما فعل، قال: «**أليس هذا خيراً من أن يأتى أحدكم ثائر الشعر كأنه شيطان**»(١٨).

فالنظافة من الإيمان وهى شعار الإسلام وعنوانه. يقول الشيخ محمد الغزالى - رحمه الله - لقد كان رسول الله ﷺ إذا رأى مسلمًا يهمل فى تجميل نفسه، وتنسيق هيئته، نهاه عن الاسترسال فى هذا التبذل، وأمره بارتداء أفضل ما عنده، ليُحَسِّن هندامه ومظهره، لأن الله جميل يحب الجمال (الغزالى، ١٩٧٤ : ١٦٨).

جـ - إعطاء الجسم حقه من الراحة وعدم تحميله فوق طاقته:

فالجسم له طاقة على العمل والنشاط، يحتاج بعدها إلى الراحة والنوم، حتى يستعيد طاقته ويقدر على العمل والنشاط من جديد. وحث الإسلام على أن نعمل بقدر طاقتنا، ولا نحمِّل أنفسنا ما لا تطيق. قال تعالى: ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا** ﴾ [الطلاق: ٧]. وقال أيضًا: ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا** ﴾ [البقرة: ٢٨٦] أى ما تقدر عليه. وقال عليه الصلاة والسلام لأبى الدرداء - رضى الله عنه - الذى كان يصوم النهار ويقوم الليل: «**إن لبدنك عليك حقا**» فى الرعاية والحماية والتنمية.

د - الوقاية من الأمراض:

فدعا الإسلام إلى الابتعاد عن المناطق الموبوءة بالأمراض، والأخذ بالأسباب الوقائية لحماية أبداننا. فالوقاية خير من العلاج. قال عليه الصلاة والسلام: «**إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه**». وقال: «**فر من المجذوم فرارك من**

---

(١٧) رواه الطبرانى.

(١٨) فى الحلال والحرام ليوسف القرضاوى ص ٧٨.

الأسد»[١٩] حتى لا تنتقل العدوى إليك.

هـ - علاج الأمراض والتداوى فلكل داء دواء:

يقول ابن القيم كان من هدى رسول الله عليه الصلاة والسلام فعل التداوى فى نفسه، والأمر به لمن أصابه مرض من أهله وأصحابه (ابن القيم، ١٤٠٣هـ : ٦٥) **وقال عليه الصلاة** والسلام: **«لكل داء دواء فإذا أصاب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل»**[٢٠] وقال أيضًا: **«تداووا عباد الله، فإن الله عز وجل لم يُنْزل داء إلا أنزل له شفاء، علمه من علمه، وجهله من جهله»**[٢١] فالأخذ بالتداوى مع طلب الشفاء من الله هما أساس العلاج من الأمراض واستعادة الصحة إلى البدن.

٤ - الزوجة الصالحة

يقصد بالزوجة الصالحة المرأة التى على خلق ودين، والتى إذا نظر إليها زوجها سرته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته فى نفسها وماله[٢٢] **فهى** خير متاع الدنيا. قال عليه الصلاة والسلام: **«الدنيا متاع وخير متاع الدنيا الزوجة الصالحة»**[٢٣]. وقد عدَّ الرسول عليه الصلاة والسلام هذه الزوجة من عوامل سعادة المرء. فقال: **«من سعادة ابن آدم ثلاثة، ومن شقاوة ابن آدم ثلاثة. من سعادة ابن آدم: الزوجة الصالحة، والمسكن الصالح، والمركب الصالح. ومن شقاوة ابن آدم: الزوجة السوء، والمسكن السوء، والمركب السوء»**[٢٤] وفى حدث آخر قال عليه الصلاة والسلام: **«أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح والمركب الهنيىء»**[٢٥].

يستفاد من الحديثين الشريفين أن الزوجة الصالحة من عوامل سعادة زوجها، **بما تحققه له** من إمتاع وسكن وأمن وطمأنينة ومساندة اجتماعية، فيسعد كل منهما بالآخر. **فإذا أضفنا** إلى هذا قوله عليه السلام: **«المرأة خير متاع الدنيا»** أدركنا موقف الإسلام من الزواج الناجح بالنسبة للرجل والمرأة. فهو من أفضل نعم الله عليهما، فبه يستمتعان ويسعدان فى الحياة الدنيا.

---

(١٩) رواه البخارى.

(٢٠) رواه مسلم.

(٢١) رواه أحمد.

(٢٢) معنى حديث رواه ابن ماجه.

(٢٣) رواه مسلم.

(٢٤) رواه أحمد.

(٢٥) رواه ابن حبان.

وتأتى السعادة فى الزواج من عدة مصادر هى:

أ - **الزواج** يعطى لحياة كل من الزوجين قيمة أو معنى، حيث يرفع مكانتهما الاجتماعية فى الحياة من خلال بناء الأسرة وإنجاب الأبناء. وقد عبر الإسلام عن أهمية الزواج فى حياة الإنسان فعدَّ «عقد الزواج» ميثاقًا قويًا. قال تعالى: ﴿**وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا**﴾ [النساء: ٢١] يجب المحافظة عليه والوفاء به. فعقد الزواج - كما قال البخارى رضى الله عنه - «أشرف العقود فى شرع الله لأنه سَبَبُ كل خير وصلاح للرجل والمرأة على السواء»

ب - **توفير الاستقرار النفسى لكل من الزوجين** من خلال علاقة المودة والمحبة التى تقوم عليها العلاقة الزوجية، حيث يكون كل من الزوجين مصدر أمن وطمأنينة للزوج الآخر. قال تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الروم: ٢١].

ج - **حصول كل من الزوجين على المساندة الاجتماعية من الزوج الآخر**، فيجد من يشاركه أفراحه وأحزانه فيزداد فرحًا فى النجاح، ويذهب عنه الحزن فى الفشل والإحباط. وقد وصف الله الزواج بالحصن لكل من الزوجين. قال تعالى: ﴿**فَإِذَا أُحْصِنَّ**﴾ [النساء: ٢٥] أى تزوجن. وقال سبحانه: ﴿**وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ**﴾ [النساء: ٢٤]. أى المتزوجات من النساء. وقال سبحانه: ﴿**هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ**﴾ [البقرة: ١٨٧] أى أن الزوجة لباس لزوجها والزوج لباس لزوجته، حيث يحمى كل منهما الآخر من كل سوء ومكروه.

د - **إنجاب الأبناء** الذين هم زينة الحياة الدنيا وقرة أعين لوالديهم، ومطلب أساسى لكل رجل وامرأة فى الحياة، لذا كان دعاء عباد الرحمن: ﴿**رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ**﴾ [الفرقان: ٧٤]. كما أن إنجاب الأبناء وتربيتهم من عوامل سعادة والديهم فى الدنيا والآخرة، لأن الولد الصالح سواء كان ذكرًا أو أنثى خير ما يتركه الوالدان فى الدنيا، فهو من العمل الصالح الذى يستمر ثوابه إليهما بعد مماتهما. قال رسول الله ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، علم ينتفع به، ولد صالح يدعو له**»(٢٦) فالأبناء سند لوالديهم فى الحياة الدنيا ومصدر ثواب لهما فى الآخرة، بفضل دعاء الأبناء للآباء بعد مماتهم.

---

(٢٦) رواه البخارى.

٥ - المسكن الصالح

يقصد بالمسكن الصالح البيت الذى يجد فيه الإنسان الراحة والحماية والاستقرار النفسى. ولا يعنى هذا أن يكون المسكن قَصْرًا أو فيلا فخمة، إنما يكفى أن يكون مأوى مناسبًا للإنسان، يحميه من الحر والبرد، ويشعر بالرضا عنه، وتتوافر فيه أساسيات الحياة، ويكون نظيفًا جيد الإضاءة والتهوية. والمسكن الصالح أو المسكن الواسع نعمة من الله فى هذه الدنيا. قال تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ** ﴾ [النحل: ٨٠] وكان النبى يحب سعة الدار، ويعدها من عناصر السعادة الدنيوية، وكان يدعو ربه: «**اللهم اغفر لى ذنبى ووسع لى فى دارى وبارك لى فى رزقى**»(٢٧).

ومن أهم مكونات المسكن الصالح وجوده بين جيران صالحين، يرعون حقوق الجيرة فى التعاون والحماية والمساعدة والاحترام المتبادل. فالجيران الصالحون يشعرون بالرضا عن بعضهم البعض، ويكون كل منهم أخًا وصديقًا للآخرين، يساندهم ويساندونه فى السراء والضراء.

وقد عدَّ الرسول المسكن الصالح من سعادة ابن آدم، والمسكن السيئ من شقاوة ابن آدم. وتأتى السعادة فى المسكن الصالح من مشاعر الرضا والراحة فى المسكن الذى يمضى الإنسان فيه أوقاتًا كثيرة، ومن مشاعر الرضا والاطمئنان التى يشعر بها مع جيرانه الذين يتعامل معهم كل يوم. وتأتى الشقاوة فى المسكن السيئ من مشاعر الضيق والتوتر والسخط التى يعانيها أثناء وجوده فى المسكن غير المناسب ومن تعامل الجيران السيئ معه، مما يجعل الساكن يكره السكن والمنطقة التى يسكن فيها.

ونظرًا لأهمية الجار فى تنمية الرضا عن المسكن حث الإسلام على الإحسان إلى الجار والتعاون معه وعدم إيذائه، حتى يكون الجار مصدر أمن وسعادة لجيرانه، ولا يكون مصدر اضطراب وشقاوة لهم. قال تعالى: ﴿ **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ** ﴾ [النساء: ٣٦]. وعدّ الرسول الجار الصالح من سعادة ابن آدم والجار السيئ من شقاوة ابن آدم، حيث قال: «**أربع من سعادة ابن آدم: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيىء**»(٢٨) وأوصى خيرًا بالجار فقال لأبى ذر الغفارى رضى الله

---

(٢٧) رواه النسائى.

(٢٨) رواه ابن حبان.

عنه: «**يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعهد جيرانك**»[٢٩] ونهى عليه السلام عن إيذاء الجار، فقال: «**لا يدخل الجنة من لا يأمن جارهُ بوائقه**» (أى شروره)[٣٠] حتى يعيش الجار فى أمن وسعادة مع جيرانه. فمن أراد السعادة فى الدنيا فليحسن إلى جيرانه، ومن أراد السعادة فى الدنيا والآخرة فليحسن إلى جيرانه ابتغاء مرضاة الله، فيفوز بالثواب من الله فى الدنيا والآخرة.

٦ - المركب الصالح

يقصد بالمركب كل ما يركب فى البر والبحر والجو، ويشمل جميع وسائل المواصلات التى يستعملها الإنسان فى انتقالاته. والمركب الصالح هو وسيلة الانتقال المريحة فى ركوبها التى توصل الإنسان إلى المكان الذى يريده بدون مشقة، أما المركب السيئ فهو وسيلة انتقال غير مريحة، ويجد الإنسان مشقة فى استعمالها، ولا توصله إلى ما يريده إلا بشق الأنفس. وقد عد الرسول عليه الصلاة والسلام المركب الصالح أو المركب الهنىء من سعادة الإنسان والمركب السيئ من شقاوة الإنسان فى الدنيا. وتأتى سعادة الإنسان بالمركب الصالح من أهمية هذا المركب فى نقل الإنسان من بلد إلى بلد، ومن صلاحه الذى يجعل راكبه مستريحًا فى استعماله، وفى انتقاله إلى حيث يريد براحة واطمئنان فيشعر بالسعادة، أما سوؤه فراكبه يجد مشقة فى استعماله، ويوصله إلى حيث يريد بعد تعب ومعاناة، ولا يشعر بالأمن والطمأنينة معه فيشقى به فى انتقالاته ولا يطمئن إليه.

والمركب الصالح أو المركب الهنىء من نعم الله على عباده فى الحياة الدنيا. قال تعالى: ﴿**وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (٤١) وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ (٤٢)**﴾ [يس] وقال أيضًا: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (٧١) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (٧٢) وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٧٣)**﴾ [يس] فكل وسائل المواصلات نعم من عند الله، علينا شكر خالقها على ما أنعم، حتى يبارك فيها، ويزيدها صلاحا، فتزداد سعادتنا وأمننا بها. لذا كان رسول الله ﷺ إذا استوى على بعيره خارجًا إلى سفر يكبر ثلاثًا ويقول: «**سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون. اللهم إنا نسألك فى سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى. اللهم هوِّن علينا سفرنا هذا، واطو عنا بُعْده. اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى**

---

(٢٩) رواه مسلم.

(٣٠) رواه مسلم.

الأهل. اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر وسوء المنقلب فى الأهل والولد»(٣١).

وسن الرسول سننًا مَنْ يأخذ بها من المسلمين سوف يجد الراحة والمتعة فى سفره، ويكون مركبه - سواء كان دابة أو سيارة أو طائرة أو باخرة - مركبًا صالحًا بإذن الله تعالى. من هذه السنن صلاة ركعتين قبل السفر. قال عليه السلام: **«ما خلف أحد عند أهله أفضل من ركعتين يركعهما عندهم حين يريد السفر»**(٣٢). ومنها توديع الأهل وجعلهم وديعة عند الله قال عليه السلام: **«مَنْ أراد السفر فليقل لمن يخلف أستودعكم الله الذى لا تضيع ودائعه»**(٣٣). وكان رسول الله يودع قائلاً: **«أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك»**(٣٤).

ومنها ذكر الرجوع من السفر فقد كان رسول الله عند عودته من السفر يكبر ثلاثًا ويقول: **«لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شىء قدير، أيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»**(٣٥).

٧ - التوسعة فى الرزق

يقصد بالتوسعة فى الرزق الزيادة فى كسب المال من حلال، والبركة فيه. فكسب المال عمل مشروع بقصد النفقة الواجبة على النفس والأهل والعيال والتوسعة عليهم، وهو مشروع أيضًا بقصد الترفه والجاه والمكانة الاجتماعية. قال تعالى: ﴿ **الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾ [الكهف: ٤٦] وقال أيضًا: ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ** ﴾ [آل عمران: ١٤] وقال الرسول عليه السلام: **«قلب الشيخ شاب على حب اثنين: طول العمر، وكثرة المال»**(٣٦) فشهوة جمع المال وما يرتبط بها من خيل مسومة وأنعام وزراعات كلها من متع الحياة الدنيا، التى تسعد صاحبها إذا كانت من كسب حلال، واستخدمت فيما يرضى الله. وقد مدح الرسول عليه الصلاة والسلام المال الحلال، وأثنى

---

(٣١) رواه مسلم.

(٣٢) رواه أحمد.

(٣٣) رواه الطبرانى.

(٣٤) رواه أحمد.

(٣٥) رواه البخارى ومسلم.

(٣٦) رواه الترمذى.

على صاحبه، فقال لعمرو بن العاص: «**يا عمرو نعم المال الصالح مع الرجل الصالح**»(٣٧).

ويجمع فقهاء المسلمين على أن جمع المال من حلال مباح للجميع دون حدود عليا أو دنيا. فقد جاء فى كتاب الآداب الشرعية «يباح الكسب الحلال لزيادة المال وتحقيق الجاه والترفه والتنعيم والتوسعة على العيال مع سلامة الدين وبراءة الذمة». وجاء فى كتاب الحلال والحرام للدكتور يوسف القرضاوى «لا حرج على المسلم فى أن يجمع المال ما شاء مادام يجمعه من حله ويُنميه بالوسائل المشروعة» (القرضاوى، ١٩٨٠: ٣٢٠).

والسعى فى كسب الرزق لإعفاف النفس والإنفاق على العيال أفضل عند الله من التفرغ للعبادة من صوم وحج وصلاة لما فى السعى من منافع للناس، فخير الناس أنفعهم للناس، ولما فيه من تعمير الأرض وتسخير ما فيها من طاقات ومنافع من أجل استمرار الحياة وتطورها. قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**﴾ [الملك: ١٥].

الأخذ بالأسباب فى طلب الرزق:

ومع أن الإنسان يؤمن أن رزقه مقدر عليه من قبل أن تُنفخ فيه الروح. فرزقه من الكلمات التى يكتبها الملك، والعبد مضغة فى رحم أمه. قال رسول الله ﷺ: «**إن خلق أحدكم يُجمع فى بطن أمه أربعين يومًا نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم مضغة مثل ذلك ثم يبعث إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيقال: اكتب رزقه وعمله وأجله وشقى أم سعيد ثم تنفخ فيه الروح**»(٣٨). ومع هذا فإن طلب الرزق والتوسعة فيه من كسب الإنسان واختياره للكسب الحلال أو الحرام وهو مسئول عن كسبه.

ويقوم طلب الرزق على الأخذ بأسباب الرزق والاجتهاد فى البحث عنه، وسوف يرزق الله من يأخذ بهذه الأسباب بحكمته سبحانه. فالله وحده هو الرزاق لكل الناس من المسلمين وغير المسلمين. قال تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً**﴾ [الإسراء: ٣٠] وأخبر سبحانه سيدنا إبراهيم الخليل أنه سوف يرزق من يأخذ بأسباب الرزق من المؤمنين والكافرين، فقال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾ [البقرة: ١٢٦] وتشير هذه الآية إلى أن الله يرزق من يسعى فى

---

(٣٧) رواه أحمد.

(٣٨) متفق عليه.

كسب الرزق من المسلمين وغير المسلمين.

والفرق بين كسب المسلم وكسب غير المسلم هو أن غير المسلم ينسب رزقه إلى الأسباب التى أخذ بها، أما المسلم فينسب رزقه إلى الأسباب وتوفيق الله، مما يجعله يأخذ بأسباب طلب الرزق وهو متوكل على الله فلن يصيبه من الرزق إلا ما كتبه الله له. قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: «**لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً**»(٣٩).

الاستمتاع فى طلب الرزق:

ويستمتع المسلم وغير المسلم بجمع المال وإنفاقه، إلا أن استمتاع المسلم فى هذا المجال أفضل من استمتاع غير المسلم، لأن المسلم عندما يعمل فى طلب الرزق وهو متوكل على الله، يؤمن بأن الرزاق هو الله فيطلب الرزق من الله، ويعمل فى البحث عن رزقه، ويرضى بما يرزقه الله قليلاً أو كثيراً، ويسعد بالمشى فى مناكب الدنيا والعمل فى تعميرها، فهو فى عبادة. قال عليه الصلاة والسلام: «**ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان إلا كان له صدقة إلى يوم القيامة**»(٤٠) وقال: «**لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتى بحزمة حطب على ظهره فيبيعها فيكف بها وجهه خير من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه**»(٤١) وانشغال المسلم فى البحث عن الرزق الحلال وهو متوكل على الله يجعل متعه فى جمع المال وإنفاقه متعاً مادية وروحية، فيستمتع بجمع المال (متع مادية قصيرة الأمد) ويستمتع بعبادة الله فى جمع المال من حلال، وإنفاقه فيما يرضى الله (متع روحية طويلة الأمد). أما متع غير المسلم فهى متع مادية فقط، لأنه يعمل ويكسب من أجل الدنيا وليس من أجل الآخرة، فيحصل على المتع المادية ولا يحصل على المتع الروحية.

حب المال المحمود:

ويحب المسلمون وغير المسلمين المال حبًا كبيرا، وهو حب محمود إذا انضبط بشرع الله، الذى جعل جَمْعه وإنفاقه وسيلة لإسعاد الناس، وليس غاية فى حد ذاته. أما حب المال المذموم فهو حب منضبط بهوى النفس الذى قد يجعل المال غاية وليس وسيلة، ويدفع إلى البخل وعبادة المال، فيشقى الإنسان بجمعه وحراسته، ويحزن عند الموت بتركه لغيره من الورثة. قال رسول الله ﷺ: «**تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة. إذا أعطى رضى**

---

(٣٩) رواه الترمذى.

(٤٠) رواه مسلم.

(٤١) متفق عليه.

وإذا لم يعط لم يرض»[٤٢]. فالبخيل تعيس بالمال فى الدنيا، وينتظره عذاب أليم فى الآخرة. قال سبحانه وتعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ (٣٥)** ﴾ [التوبة] وليس حب المال الذى يؤدى إلى البخل هو المذموم فقط، بل ذم الإسلام حب المال الذى يدفع إلى جمع المال بطرق غير مشروعة وإنفاقه على شهوات مرذولة أو منحرفة مثل الزنا أو شرب الخمر أو تعاطى المخدرات وغيرها. كما ذم الإسلام حب المال الذى يدفع إلى الإسراف وتضييع المال فى أمور ليست ضرورية، فيكون جَمْعه وسيلة لتحقيق أهداف مادية رخيصة وإنفاقه فيما يغضب الله، فالإسراف أو التبذير مذموم بكل أشكاله. قال سبحانه وتعالى: ﴿ **وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً (٢٧)** ﴾ [الإسراء].

أما المال الذى يسعد صاحبة فى الدنيا فيكون من كسب حلال، ويُنْفَق فى حلال دون إسراف ولا تقتير. والإنسان السعيد بماله هو الذى يتوسط فى إنفاقه فلا يكون بخيلاً ولا مبذراً. قال سبحانه وتعالى: ﴿ **وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً** ﴾ [الإسراء: ٢٩] ووصف سبحانه عباد الرحمن وهم السعداء فى الدنيا والآخرة بأنهم: ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً** ﴾ [الفرقان: ٦٧].

عوامل التوسعة فى الرزق:

حدد الإسلام عدة عوامل لزيادة الرزق والبركة فيه، وهى عوامل اعتقادية تقوم على الإيمان والتصديق بما جاء به الإسلام فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة (شحاتة، ٢٠٠٠). ولا يؤمن بهذه العوامل غير المسلمين، ولا يعمل بها المسلمون ضعاف الإيمان. أما المسلمون الملتزمون بدينهم فيؤمنون بها ويعملون بمقتضاها ابتغاء مرضاة الله الذى بيده زيادة الرزق والبركة فيه.

---

(٤٢) رواه البخارى.

وتتلخص عوامل التوسعة فى الرزق فى الآتى:

أ - العمل: فطلب الرزق يتطلب العمل والاجتهاد فيه، فقد أمر الله بالعمل فقال: ﴿**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**﴾ [التوبة: ١٠٥] وقال: ﴿**فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ**﴾ [الملك: ١٥] وقال الرسول ﷺ: «**التمسوا الرزق فى خبايا الأرض**»(٤٣) وقال: «**إن قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فليغرسها**»(٤٤) وقال عمر بن الخطاب: «**لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقنى، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة وأن الله يرزق الناس بعضهم من بعض**» (بكور، ب ت).

ب - بر الوالدين: فقد وعد الإسلام مَنْ بر والديه ووصل رحمه ببسط الرزق والبركة فيه. فقال رسول الله ﷺ: «**من أحب أن يبسط له فى الرزق وينسأ له فى أثره فليصل رحمه**»(٤٥) أى يبر والديه ويصل رحمهما.

جـ - تقوى الله: فقد وعد الإسلام مَنْ يتق الله بالرزق الواسع الذى يأتيه من حيث لا يحتسب. قال تعالى: ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۝٣**﴾ [الطلاق] وقال تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**﴾ [الأعراف: ٩٦].

د - الزكاة: حيث أشار الإسلام إلى أن إخراج الزكاة كل سنة فيه تطهير للمال والأنفس وفيه بركة فى الرزق، وتوسعة على المزكين. قال تعالى: ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا**﴾ [التوبة: ١٠٣] أى خذ يا محمد من أموال المسلمين صدقة (زكاة) تطهر بها نفوسهم وأولادهم وأموالهم وتكون بركة وتنمية لهم.

هـ - الإنفاق فى سبيل الله: وتشمل ما ينفقه المسلم من غير الزكاة على الفقراء والمساكين وفى الدعوة إلى الله وإقامة المساجد والمدارس والمستشفيات ابتغاء مرضاة الله. وقد أشار الإسلام إلى أن الإنفاق فى سبيل الله، فيه بركة فى المال وثواب مضاعف من الله فى الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة: ٢٦١] وقال أيضًا:

---

(٤٣) رواه الطبرانى.

(٤٤) رواه البخارى.

(٤٥) متفق عليه.

﴿ **وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ** ﴾ [سبأ: ٣٩] وقال: ﴿ **مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً** ﴾ [البقرة: ٢٤٥] وقد وعد الله المنفقين فى سبيله ببسط الرزق لهم فى الدنيا، فقال فى حديث قدسى: «**ياعبدى أنفق أُنفق عليك**»(٤٦). وقال رسول الله ﷺ: «**ما نقصت صدقة من مال**»(٤٧) وفى رواية أخرى: «**ما نقص مال عبد من صدقة**»(٤٨).

وأشار عليه الصلاة والسلام إلى أن الله يعطى المنفقين فى سبيله ولا يعطى البخلاء الذين يمتنعون عن الإنفاق فى سبيله، فقال: «**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا**»(٤٩). كما أشار عليه السلام إلى أن الرزق يأتى بالإنفاق على الضعفاء فقال: «**ابغونى فى الضعفاء ألا تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم**»(٥٠).

و - **شكر الله على نعمة الرزق**: أشار الإسلام إلى أن من عوامل التوسعة فى الرزق شكر الله على ما رزق من نعم. فشكر الله واجب على المؤمنين. قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ** ﴾ [البقرة: ١٧٢] ووعد الشاكرين بالزيادة والتوسعة فى الرزق. فقال تعالى: ﴿ **لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ** ﴾ [إبراهيم: ٧].

ويكون شكر الله فى الصباح والمساء وعند الحصول على النعمة. قال رسول الله ﷺ: «**من قال حين يصبح: اللهم ما أصبح بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد والشكر فقد أدى شكر يومه ومن قال مثل ذلك حين يمسى فقد أدى شكر ليلته**»(٥١).

ز - **الاستغفار**: عندما يستغفر الإنسان ربه على ما فرط فى حق الله، فإن هذا الاستغفار يكون سببًا من أسباب التوسعة فى الرزق. قال تعالى عن نبيه نوح عليه السلام: ﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾** ﴾ [نوح]. وقال رسول الله ﷺ: «**من لزم الاستغفار جعل الله**

---

(٤٦) متفق عليه.

(٤٧) رواه مسلم.

(٤٨) رواه ابن ماجه.

(٤٩) متفق عليه.

(٥٠) رواه البزار.

(٥١) رواه أبو داود والنسائى.

له من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب»[٥٢]. يستفاد من الآيات والحديث أن كثرة الاستغفار من أسباب التوسعة فى الرزق والبركة فيه (شحاتة، ٢٠٠٠).

٨ - الأمن والأمان

يقصد بالأمن والأمان شعور الإنسان بالطمأنينة على نفسه وماله وعرضه وعقله ودينه. فمتعة الأمن والأمان فى حفظ هذه الكليات الخمس يجعل الإنسان سعيداً فى الدنيا، ويدفعه إلى الجد والاجتهاد فى طلب الرزق. وبدون الأمن والأمان يشقى الإنسان ويضطرب، ويكون عرضة للاضطراب النفسى والاضطراب العقلى والأمراض السيكوسوماتية. لذا كانت نعمة الأمن الأمان من أعظم النعم.

فالحاجة إلى الأمن والأمان من الحاجات الأساسية للإنسان، التى تأتى فى الأهمية بعد الحاجة إلى الطعام والماء، فهى تؤثر على جميع حاجات الإنسان: الجسمية والنفسية والاجتماعية والروحية وتتأثر بها. وبدون الأمن والأمان تضعف النفس وتضطرب ويشقى الإنسان بحياته (عوده ومرسى، ٢٠٠٠).

وقد عبر الرسول عن أهمية هذه الحاجة ودورها فى الصحة النفسية وفى الشعور بالسعادة فى الدنيا فقال ﷺ: **«من بات آمنًا فى سربه، معافًا فى بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها»**[٥٣] ومعنى هذا الحديث أن الإنسان الذى يشعر بالأمن على نفسه وعلى رزقه فهو فى خير ونعمة وسعادة.

وقد كفل الإسلام حفظ الكليات الخمس لجميع الناس مسلمين وغير مسلمين، فقال رسول الله ﷺ فى حجة الوداع: **«إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا. ألا هل بلغت»**[٥٤] وقال: **«كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وعرضه، وماله»**[٥٥] ويستفاد من هذه الأحاديث الشريفة أن الإسلام ضمن لكل إنسان عقله ونفسه وماله وعرضه ودينه، فلا يعتدى عليها أحد حتى يعيش فى أمن وأمان، ويستمتع بالحياة الدنيا.

---

(٥٢) رواه أحمد.

(٥٣) رواه البخارى.

(٥٤) رواه البخارى.

(٥٥) رواه مسلم.

عوامل تنمية الأمن والأمان

أشار الإسلام إلى عدة عوامل تسهم فى تحقيق الأمن والأمان للإنسان فى الحياة الدنيا، من أهمها الآتى:

أ - الحب المتبادل بين الناس: الحاجة إلى الحب المتبادل من الحاجات الأساسية عند الإنسان فى جميع مراحل حياته، وهذا ما يجعله يشعر بالأمن والأمان عندما يعيش فى جماعة يحبهم ويحبونه، ينصرهم وينصرونه، ويساندهم ويساندونه.

وقد حث الإسلام على التعاون والتراحم، وشجع على المودة والمحبة والتسامح والاحترام المتبادل بين الناس بعامة وبين المسلمين بخاصة، حتى يشعر كل منهم بالأمن والأمان مع الآخرين. قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾ [الحجرات: ١٠] وقال الرسول عليه الصلاة والسلام: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا**»(٥٦) وقال القرطبى فى شرح هذا الحديث: أن الرسول شبك بين يديه لكى يبين أن مساندة ومعاونة المؤمن للمؤمن ونصرته كالبنيان يشد بعضه بعضا ويقويه، كذلك المؤمن لا يستقل بأمر دنياه ودينه لأنه فى حاجة إلى معاونة أخيه ومساندته ومعاضدته، فإن لم يجد هذه المساندة عجز عن القيام بكل مصالحه وعن مقاومة ضغوط الحياة (النووى، ١٩٧٨: ١١٩).

ب - العدالة فى تطبيق القوانين: يشعر الإنسان بالأمن والأمان فى المجتمع الذى تُحْتَرَم فيه حقوق الناس، وتُطبق فيه القوانين على الجميع بعدالة، ويُؤخذ على يد الظالم والمنحرف، ويجد فيه الضعيف مَنْ يساعده وينصره. وهذا ما دعا إليه الإسلام فى بناء المجتمع الإسلامى الذى يقوم على الأمن والعدل والمساواة والحرية للجميع، لا فرق فى ذلك بين عربى وعجمى، ولا بين غنى وفقير، ولا بين مسلم وغير مسلم، لأن الجميع يخضعون لشرع الله. قال تعالى: ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [النساء: ٦٥].

وكان الرسول عليه الصلاة والسلام حازمًا فى تطبيق الأحكام فعندما توسط أسامة «حب رسول الله» فى أمر المخزومية غضب عليه الصلاة والسلام وقال: «**أتشفع فى حد من حدود الله**» ثم قام وخطب قائلاً: «**أيها الناس إنما ضل من كان قبلكم أنهم إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الفقير أقاموا عليه الحد. وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها**».

---

(٥٦) متفق عليه.

لذا كان المجتمع الإسلامى الأول فى أمن وأمان عَبَّر عنه مَنْ وجد سيدنا عمر رضى الله عنه نائمًا تحت شجرة فقال: «حكمت فعدلت فأمنت فنمت يا عمر».

جـ - **توافر الحاجات الأساسية للناس**: ويقصد بها الحاجات التى ترتبط بحياة الإنسان من مأكل وملبس ومشرب ومأوى وعمل. فلا يشعر الإنسان بالأمن والأمان إلا إذا وجد ما يشبع به هذه الحاجات، فلا أمن ولا أمان لجائع ولا بائس أو عريان، ولا أمن لمن لا مأوى له ولا عمل. لذا دعا الإسلام إلى إطعام الطعام وكسوة العريان ورعاية الأيتام والفقراء والمساكين. وجاء فى وصف «الأبرار» وهم السعداء فى الدنيا والآخرة ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا**﴾ [الإنسان: ٨]. وجاء فى وصف عباد الله المكرمين فى الدنيا الذين لا هلع فيهم و لا جزع ولا مَنْع ﴿**إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥)**﴾ [المعارج]. وقال رسول الله ﷺ: «**أيما مسلم كسا مسلمًا على عرى كساه الله من خضر الجنة، وأيما مسلم أطعم مسلمًا على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، وأيما مسلم سقى مسلمًا على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم**»[٥٧].

يستفاد من الآيات والحديث أن الإسلام جعل المسلم القادر عونًا لأخيه غير القادر فى إشباع حاجاته إلى الطعام والكساء والمأوى حتى يشعر القادر بالأمن والأمان فى علاقته بغير القادرين، ويشعر غير القادر بالأمن والأمان عندما يحصل على ما يشبع حاجاته الأساسية من زكاة أو صدقات أو هبات القادرين ابتغاء مرضاة الله.

د - **الوقاية من الترويع والتهديد**: عنى الإسلام بحماية الناس من التهديد والترويع والغش والخداع والمكر حتى يعيش الناس فى أمن وأمان. قال رسول الله ﷺ: «**لا يحل لمسلم ترويع المسلم**»[٥٨] وقال: «**ملعون من ضَرَّ مؤمنًا أو مكر به**»[٥٩] وقال: «**من غشنا فليس منا**»[٦٠].

هـ - **الاستعانة بالله**: يؤمن المسلم أن الاستعانة بالله والتوكل عليه والدعاء والذكر مصدر أمنه وطمأنينته فى الحياة الدنيا. قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ [الرعد: ٢٨]. وقد مَنَّ الله على قريش بالأمن والأمان فقال: ﴿**الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ**﴾ [قريش: ٤].

---

(٥٧) رواه أبو داود.

(٥٨) رواه الترمذى.

(٥٩) رواه الترمذى.

(٦٠) رواه البخارى.

فالإيمان بالله وذكر الله – كما يقول الدكتور محمد عثمان نجاتى – يملأ النفس بالانشراح والرضا والسعادة ويجعل الإنسان يعيش فى طمأنينة وأمن نفسى (نجاتى ١٩٨٥ : ١٩).

وقد حث الرسول على الاستعانة بالله، فقال عليه الصلاة والسلام لأسامة: «**إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله**»(٦١) وقال أيضًا: «**ما أقبل عبد على الله إلا جعل الله قلوب المؤمنين تنقاد إليه بالود والرحمة، وكان الله بكل خير أسرع إليه**»(٦٢).

يستفاد من الآيات والأحاديث السابقة أن مَنْ توكل على الله كان الله معه، ومَنْ كان الله معه يشعر بالأمن والأمان مهما كانت ضغوط الدنيا عليه، ويكون كما كان الرسول عليه الصلاة والسلام عندما خزله أهل الطائف فاستعان بالله ولجأ إليه وقال مناجيًا: «**اللهم إليك أشكو ضعف قوتى، وقلة حيلتى، وهوانى على الناس. يا أرحم الراحمين. أنت رب المستضعفين، وأنت ربى، إلى من تكلنى؟ إلى بعيد يتجهمنى أم إلى عدو ملكته أمرى؟ إن لم يكن بك غضب علىَّ فلا أبالى. ولكن عافيتك هى أوسع لى**»(٦٣).

التلخيص

حدد الإسلام عوامل زيادة سعادة الإنسان فى الدنيا فى عدة عوامل من أهمها: الاستقامة فى الحياة بلزوم طاعة الله فى عمل الفضائل والابتعاد عن الرذائل، واستخارة الله فى حل الصراعات واتخاذ القرارات، والرضا بقضاء الله، والمعافاة فى البدن التى تجعل الإنسان قادراً على تحمل مسئولياته فى عبادة الله وتعمير الأرض، والزوجة الصالحة التى يجد عندها الأمن والطمأنينة والمساندة فى الحياة، والمسكن الواسع أو الصالح الذى يجد فيه الراحة والاستقرار والصحبة من الجيران، والمركب الصالح الذى ينتقل به من مكان إلى أخر فى سهولة ويسر وأمن وأمان، والرزق الواسع الذى يجمعه من حلال وينفقه فيما يرضى الله، والشعور بالأمان على نفسه وعرضه وماله ودينه وعقله فيعش فى أمن وطمأنينة وسعادة.

التطبيقات

يهدف هذا الفصل إلى تحديد أهم عوامل زيادة الشعور بالسعادة فى الحياة الدنيا كما جاءت فى القرآن والسنة، والاستفادة من معرفة هذه العوامل فى تنمية الصحة النفسية. ومن الدروس المستفادة من هذا الفصل الآتى:

---

(٦١) من حديث رواه الترمذى.

(٦٢) من حديث رواه الترمذى.

(٦٣) من حديث رواه الطبرى.

١ – أن يؤمن الإنسان بالله ثم يستقم فيلتزم بعمل الصالحات حتى يسعد فى الدنيا والآخرة.

٢ – استخارة الله فى كل أمر من أمور حياتنا، وتفويض الأمر إليه، والتوكل عليه والرضا بقضائه وقدره خيره وشره. فالله لا يريد بعبده إلا الخير فى الدنيا والآخرة.

٣ – المعافاة فى البدن من نعم الله التى يجب المحافظة عليها من خلال تنمية الصحة والوقاية من الأمراض، وتنظيم أوقات النشاط والراحة والنوم، والاعتدال فى الطعام والشراب. فالعلاقة وثيقة بين المعافاة فى البدن والشعور بالسعادة فى الدنيا.

٤ – الزواج وتكوين الأسرة وإنجاب الذرية الصالحة من أهم الركائز التى تقوم عليها سعادة الإنسان فى الدنيا. فالزواج سكن للرجل والمرأة ووسيلة لبناء الأسرة المتماسكة وإنجاب الذرية الصالحة لوالديهم فى الدنيا والآخرة.

٥ – الاجتهاد فى اختيار المسكن المناسب والرضا به والإحسان إلى الجيران، حتى يجد الإنسان المساندة الاجتماعية عند جيرانه، فيطمئن إليهم، ويثق بهم ويكون المسكن من عوامل سعادته فى الدنيا.

٦ – الالتزام بذكر الله عند استعمال وسائل المواصلات البرية والبحرية والجوية حتى تكون مركبًا هنيئًا أو صالحًا، تصل بنا إلى ما نريد بمشيئة الله وحكمته، وتسهم فى سعادتنا الدنيوية.

٧ – يقوم طلب الرزق على العمل والاجتهاد، ثم التوكل على الله الذى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر. فعلى الإنسان أن يأخذ بأسباب الرزق ثم يتوكل على الله ويرضى بما قسمه له من الرزق.

٨ – تقوم التوسعة فى الرزق على البركة من الله فى جمع المال من حلال وإنفاقه فيما يرضى الله. وتظهر البركة فى جمع المال عندما يعمل الإنسان ويرزقه الله من حيث لا يحتسب، وتظهر البركة فى إنفاق المال عندما ينفق الإنسان بحكمة دون إسراف أو تقتير فلا يكون بخيلاً ولا مبذرًا.

٩ – على الإنسان أن يأخذ بعوامل البركة فى الرزق، فيجمع ماله من حلال، ويتق الله ويخشاه، ويبر والديه ويصل رحمه، ويجتهد فى تزكية ماله بإخراج الزكاة والصدقات والإنفاق فى سبيل الله، ويستغفر الله ويشكره على نعمه الكثيرة، حتى يزيده الله من فضله توسعة فى الرزق وبركة فيه.

○○○